دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التفسير وعلوم القرآن : تفسير أوائل سورة الأنبياء
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	العبادي، عبدالسلام داود
المجلد/العدد:	مج 16, ع 6
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1972
الشهر:	يوليو / جمادى الآخرة
الصفحات:	619 - 625
رقم MD:	412180
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم ، السور والآيات ، سورة الانبياء ، تفسير القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/412180

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التفسير وعلوم القرآن

تفسير أوائل سورة الأنبياء

بقلم الدكتور
عبد السلام داود العبادي
الموجه العام للوعظ والارشاد
في وزارة الأوقاف

قال تعالى : « اقْتَرَبَ للنَّاس حِسَابُهُم وهُمْ في غَفْلَة مُعرضُونَ . ما يَأتيهم من ذكْر من ربِّهم مُحدث إلاَّ استَمَعُوه وهُمْ يَلعبون . لاهيَة قُلُوبُهم وأسَرُّوا النَّجْوى الذينَ ظَلموا هَلْ هذا إلا بَشر مثلكمْ أفَتأتُونَ السِّحْرَ وأنتُم تُبْصرونَ . قَالَ ربي يَعْلَمُ القَولَ في السَّماء والأرض وهُوَ السَّميعُ العَليمُ . بَلْ قَالوا أضْغَاثُ أحْلام بَلْ هُوَ شاعر فَليَأتنَا بآية كما أرْسلَ الأولُونَ . ما آمَنتْ قَبلهمْ من قَرية أهلكناها أفَهُم يُؤمنُونَ . ومَا أرْسَلنا قَبْلَكَ إلاَّ رجالا نوحي إليهم فَاسألُوا أهْلَ الذكْرِ إن كُنْتُم لا تَعْلَمُون . ومَا جَعلْناهُم جَسداً لا يَأكُلونَ الطَّعامَ ومَا كَانوا خَالدينَ . ثُمَّ صَدقْناهُمُ الوعْدَ فأنجيناهمْ ومَن نَشَاءُ وأهْلكْنا المُسرفينَ .

الانبياء من ١ ـ ٩

١ ـ هذه الآيات الكريمة مطلع سورة الانبياء . وهي من السور المكية . والسور المكية بصفة عامة تعنى بأمور العقيدة ؛ فنراها تعالج قضايا الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والايمان بالرسل واليوم الآخر . وتهتم بتثبيت العقيدة في النفوس بمختلف الوسائل والأساليب ...

٢ ـ والآيات التي بين أيدينا تتعرض لبيان جملة من الحقائق المهمة بهذا الصدد ؛ فهي تقر أن حساب الناس على أعمالهم يوم القيامة ـ هل التزموا فيها أوامر الله واجتنبوا نواهيه أم لا؟ ـ قد اقترب وأصبح وقوعه وشيكا ؛ ومع ذلك فالناس سادرون في غيهم متمادون في ضلالاتهم وانحرافاتهم ، غافلون عن حقيقة ما جاءهم من هدى ، معرضون عما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم ، ساهون عن التفكير في اليوم الآخر والاستعداد له ؛ فلا يصغون الى ما يتنزل من ذكر ووحي .. قلوبهم مشغولة.. يستمعون وهم يلعبون..

فالمقصود من قوله تعالى « **اقترب للناس حسابهم** » حساب يوم القيامة. قال ابن كثير : (هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها ، وان الناس في غفلة عنها ، أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها)(١) والمراد بالناس في هذه الآية كفار قريش وغيرهم من الكفار كما بين المفسرون . وقوله تعالى « **لاهية قلوبهم** » يعني انها ساهية غافلة معرضة عن ذكر الله ، متشاغلة عن التأمل والتفكير والتدبر والاتباع من قول العرب : لهيت عن ذكر الشيء اذا تركته وسلوت عنه(٢) .

والعلم بقرب الساعة يقصر الامل ويجعل النفوس تطيب بالتوبة ، وتقبل على الله فلا تركن الى الدنيا .

فهذا المطلع كما بين الاستاذ سيد قطب (مطلع قوي يهز الغافلين هزا . فالحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تعرض وهم يعرضون عن الهدى . والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته . وكلما جاءهم من القرآن جديد قابلوه باللهو والاستهتار واستمعوه وهم هازلون يلعبون ... انها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد ، وتستهتر في في مواقف القداسة ...)

(وهؤلاء الذين يصفهم القرآن الكريم كانوا يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستورا للحياة ومنهاجا للعمل وقانونا للتعامل باللعب ، ويواجهون اقتراب الساعة بالغفلة . وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان فحيثما خلت الروح من الجد والاحتفال والقداسة صارت الى هذه الصورة

---

(١) تفسير ابن كثير طبعة عيسى الحلبي جـ ٣ ص ١٧٢ .
(٢) تفسير القرطبي طبعة دار الكتب المصرية ١١/ ٢٦٨ .

المريضة التائهة التي يرسمها القرآن والتي تحيل الحياة كلها الى هـــزل فارغ لا هدف له ولا قوام ٠٠ الخ)(٣)

٣ ـ وقد تعرض القرآن الكريـم في عدد كبير من آياته لموضوع اقتراب يوم القيامة وما فيه من حساب ، قال تعالى : « **اقتربت الساعة وانشـــق القمر** »(٤) وقال سبحانه : « **ومـــا يدريك لعل الساعة تكون قريبا** »(٥)٠ هذا وقد بين جمهور المفسرين ان قوله تعالى «**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**»(٦) يقرر أيضا قرب قيام الساعـــة ، ويشتمل على النهي عن استعجال ما وعد الله من عذاب وأهوال في يـــوم القيامة(٧) ٠ وحمل بعض المفسرين هذه الآية على عذاب أهـــل مكة في معركة بدر وغيرها(٨) ٠ والواقع ان الآيـــة تشمل هذا فيما تشمـــل ، فمعاقبتهم بالهزيمة والقتل والاسر في بدر وغيرها نوع من الحساب على ما قدمت أيديهم ، كانوا يستعجلـونه استهزاء وتكذيبا ٠ قال الزمخشري : (كانوا يستعجلون ما وعدوا مـــن قيام الساعة أو نزول العذاب بهـم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعـد ، فقيل لهم أتى أمر الله الذي هو بمنزلة الآتي الواقع ، وان كان منتظرا لقرب وقوعه ، فلا تستعجلوه ٠٠٠)(٩) ٠

وقد نقل القرطبي وغيره عن ابـن عباس قوله (لمـا نزلت « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » قال الكفار : ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا ، وانتظروا ، فلـــم يروا شيئا ٠ فقالوا : ما نرى شيئا ، فنزلت « **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** » فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة ٠ فامتدت الأيام فقالوا ما نرى شيئا فنزلت « **أتى أمر الله** » فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخافوا فنزلت « **فـــلا تستعجلوه** » فاطمأنوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار باصبعيه السبابـة والتي تليها)(١٠) ٠

---

(٣) في ظلال القرآن الطبعة السادسة بيروت ٨/١٧ ـ ٩ ٠

(٤) سورة القمر آية ١ ٠

(٥) سورة الاحزاب آية ٦٣ ٠

(٦) سورة النحل آية ١ ٠

(٧) تفسير الطبري طبعة مصطفى الحلبي ٧٦/١٤ ، روح المعاني للألوسي الطبعة المنيرية ٩٠/١٤ ، اضواء البيان للشيخ محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي مطبعة المدني ١٨٩/٣ ٠

(٨) أنظر تفسير القرطبي ٢٦٧/١١ ٠

(٩) تفسير الكشاف طبعة عيسى الحلبي ٤٠٠/٢ ٠

(١٠) تفسير القرطبي ٦٦/١٠ ، روح المعاني ٩١/١٤ ٠ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بعثت انا والساعة كهاتين » اخرجه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم أنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي طبعة المكتبة التجارية ٢٠٢/٣ ٠

فلا يعني تقرير القرآن الكريم لقرب يوم القيامة أن يستعجله الناس انما له وقت محدد من قبل العلي العظيم. وقد كان الكافرون يستعجلون ما يعدهم القرآن من عذاب وحساب عناداً واستكبارا وتكذيبا واستهزاء قال تعالى : « **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ولياتينهم بغتة وهم لا يشعرون**»(١١) وقال سبحانه : « **ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** »(١٢) .

٤ ـ وتعرض المفسرون للاجابة على سؤال قد يثور في الذهن حول وصف القرآن الكريم ليوم القيامة بانه قريب وقد مر على نزوله قرون.. قال الزمخشري (فان قلت : كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام(١٣) ؟ قلت : هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل : « **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون** »(١٤) ولأن كل آت وان طالت أوقات استقباله وترقبه قريب ، انما البعيد هو الذي وجد وانقرض،ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان..)(١٥)

هذا وموت كل انسان اقتراب ودنو لحسابه على أعماله في اليوم الآخر .

وعن أنس بن مالك ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوما وقد كادت الشمس أن تغيب ، ولم يبق منها الا شق يسير ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، ما بقي من دنياكم ، فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا ، فيما مضى منه ، وما ترون من الشمس الا اليسير »(١٦) .

٥ ـ لم يكن أمر دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أمرا سهلا ميسورا ، فقد حاول الكفار كل ما يستطيعون لمنعه عليه السلام من

---

(١١) سورة العنكبوت آية ٥٣ .

(١٢) سورة هود آية ٨ .

(١٣) الزمخشري متوفي سنة ٥٣٨ هـ .

(١٤) سورة الحج آية ٤٧ .

(١٥) تفسير الكشاف ٢/٥٦١ .

(١٦) وفي معنى هذا الحديث وقريب منه ذكر الطبري في تاريخه عدة روايات وشواهد عن ابن عمر وابن مسعود انظر تاريخ الرسل والملوك طبعة دار المعارف ١/١١ ـ ١٢ .

الدعوة ، فحاكوا المؤامرات ودبـــروا الدسائس وافتروا الكذب . وكتـب السيرة النبوية تعرض لنماذج مـن عنادهم واستكبارهـــم ومعاداتهم له عليه السلام .

وقد حرص القرآن الكريم عـــلى كشف أساليبهم في محاربة الدعـــوة وبين تخرصاتهم ومطاعنهم وفندهـــا جميعها . والآيات الكريمة هنا تعرض لطرف من ذلك فتبين ان الكافرين قد تناجوا فيما بينهم وأسروا(١٧) القول بأن هذا الرسول الذي يدعوهم لاتباعه ليس الا بشرا مثلهم ، لا يتميز عنهم بشيء يأكل كما يأكلون ، ويمشي في الاسواق كما يمشون ، فلماذا يختص بالوحي من دونهـم . وليس ما جاء به الا محض سحر(١٨) فاذا اتبعوه فانهم يكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر .

وتسارع الآيات الكريمة من أجل كشف هـذا الذي يفترونه فيما بينهم فتقرر « **قـــال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم** » . فليعلموا ان الله سبحانه وتعالى مطلع على هذا الكون عالم بخفاياه ، لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والارض ، سميع لاقوالهم ، عليهم بأحوالهم ، شاءت حكمته أن يبعث لهم وللناس اجمعين هذه الرسالة ، فاياهم مـــن الكذب والتهرب من الاتباع باختلاق الحجج الواهية وادعاء العلم والمعرفة .

ولكن شان هؤلاء الكافرين يـدل على تعنت ومكابرة وتمحل واختلاف وحيرة وعدم استقرار على شيء في تعاملهم مع هذا الرسول صلوات الله عليه وسلامه وما جاء به من وحي ورسالة ، فتارة يزعمون أنه ساحـر وما جاء بـــه محض سحر ، وتارة أخرى يقولون أحلام تختلط عليه في المنام لا تأويل لها ولا أصل . ومرة يزعمون أن ما جاء به عليه السلام محض افتراء وكذب ، ومرة أخرى يقولـــون ليس الرسول الا شاعرا يقرض الشعر ...

---

(١٧) بين عدد من العلماء ان اسروا من الاضداد تطلق بمعنى الاظهار وتطلق بمعنى الاخفاء وان معناها انهم اظهروا المناجاة بينهم وبين آخرون انها تحتمل هنا الاظهار والاخفاء ـ انظر تفسير الطبري ٢/١٧ ، تفسير القرطبي ٢٦٩/١١ ـ وقد بين الزمخشري والالوسي ان النجوى اسم من التناجي ولا تكون الا سرا وخفية ومعنى اسرارها المبالغة في اخفائها ، ويجوز ان تكون مصدرا بمعنى التناجي فالمعنى : اخفوا تناجيهم ، بحيث لا يفطن له ، ولا يكون بمرأى من غيرهم ثم قال الالوسي : وأنت تعلم ان الشائع في الاستعمال معنى الاخفاء ، وان قلنا انه من الاضداد ... ولا موجب للعدول عن ذلك ... انظر روح المعاني ٨/١٧ ، الكشاف ٥٦٢/٢ .

(١٨) السحر في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة تفسير القرطبي ٢٦٩/١١ .

٦ ـ وهم بعد أن تمحلوا هذه الأقوال والمزاعم والتعلات يقولون: فليأتنا بآية كما أرسل الأولون لنصدقه ونتبعه . ويغفلون عن هذا القرآن واعجازه ، وينسون أنهم بلغوا حدا من المعاندة والمكابرة لو جاءتهم المعجزات المادية والآيات الحسية لم يؤمنوا ، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الكفار ؛ ارسلت لهم الرسل بالآيات والمعجزات الصارخة لعلهم يؤمنون ولكنهم استمروا في عنادهم واستكبارهم وتكذيبهم فاهلكهم الله جزاء بما كسبوا ... فهل سيؤمن هؤلاء دون غيرهم من الامم السابقة ؟ يقول ابن كثير (كلا بل « **ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** »(١٩) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو أظهر وأجلى وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)(٢٠) .

وقال القرطبي : (وانما كان سؤالهم تعنتا اذ كان الله أعطاهم من الآيات ما فيه كفاية ، وبين الله عز وجل أنهم لو كانوا يؤمنون لاعطاهم ما سألوه لقوله عز وجل : « **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** »)(٢١)(٢٢) .

٧ ـ وترد الآيات الكريمة على اعتراضهم على بشرية الرسول صلى الله عليهم وسلم ، فتقول : « **وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » فلتنظروا أيها المعاندون المستكبرون لتاريخ النبوات جميعها فلن تجدوا الا بشرا أنبياء اصطفاهم الله ورباهم على عينه ثم انتدبهم لهذه المهمة الخطيرة « **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** » فقد كانوا بشرا يعيشون كما يعيش البشر ، وقد ماتوا كما مات البشر ، فلم يخلد واحد منهم . واذا كنتم تجهلون ذلك فاسألوا أهل العلم من غيركم ، فلتسألوا اليهود والنصارى أكان الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله اليهم ملائكة أم بشرا ؟

ولقد كان شأن الأقوام السابقة مع أنبيائهم شأنكم مع محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن صدقهم الله الوعد فنصرهم وانجاهم من كيد أقوامهم ومكرهم وأهلك المسرفين المعاندين المكذبين بما جاءت به الرسل . وكذلك سيفعل معكم فلن ينفعكم عنادكم واستكباركم ، ونصر الله لرسوله آت لا محالة ...

---

(١٩) سورة يونس آية ٩٦ ـ ٩٧ .
(٢٠) تفسير ابن كثير ٣/١٧٣ .
(٢١) سورة الانفال آية ٢٣ .
(٢٢) تفسير القرطبي ١١/٢٧١ .

٨ ـ وقد تعرض القرآن الكريم في كثير من آياته لاعتراض المشركين والكفار على بشرية الرسل ورد عليه ؛ قال تعالى في بيان ذلك : « **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا** »(٢٣) وقال سبحانه : « **وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون • ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون** »(٢٤) وقال سبحانه في الرد عليهم « **قل ما كنت بدعا من الرسل** »(٢٥) وقال « **وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** »(٢٦) •

ولا بد من تقرير الحقائق التالية بصدد بشرية الرسل :

أ ـ ان بشرية الرسل تجعلهم أقدر على التفاهم مع البشر الذين ارسلوا اليهم وعلى الاحساس بمشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم مما يجعلهم أقدر على تعليمهم واصلاح حياتهم •

واذا أرسل الله ملائكة فانه لا بد أن يجعلهم بحيث يقدرون على تعليم الناس والتفاهم معهم ، فلا بد أن يجعلم مثل البشر في صفاتهم ولغاتهم فلا يكون عند ذلك أية فائدة في جعلهم من الملائكة •

ب ـ تكون حياة الرسول وهو بشر النموذج الكامل لتطبيق الشريعة التي يحملها ، فيقدم حياته صورة حية متحركة لما يدعو له فيسهل الاقتداء به ، ويصدق عمله قوله •

ج ـ ثم ان في اختيار الرسل من البشر تكريما للجنس البشري باتصال أفراد منه بالملأ الأعلى فيوحي الله اليهم ما يحقق السعادة لافراد جنسهم في الدنيا والآخرة •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

---

(٢٣) سورة الفرقان آية ٧ •
(٢٤) سورة المؤمنون آية ٣٣ ـ ٣٤ •
(٢٥) سورة الاحقاف آية ٩ •
(٢٦) سورة الفرقان آية ٢٠ •